المصاديق القرآنية في خطاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

م. م. مرتضى حسين محسن
المديرية العامة لتربية بغداد / الرصافة الثالثة

ملخّص البحث:

يحاول البحث أن يسلِّط الضوء على تعاطي الخطاب الحسيني مع القيم والمضامين الرساليّة التي جاء بها القرآن الكريم، وباتّجاهات مختلفة ونواحي متعدّدة جميعها تمثّل معالم بناء خطاب رسالي، يحيي ضمير الأمة، من خلال نصوص فاعلة مستمدّة من وحي القرآن وهدي النبوّة، تبيِّن حركة القيادة تجاه الأمّة التي خلَّفها رسول الله صلى الله عليه وآله، فرفع سيّد الشهداء راية الإصلاح في أمّة أُريد لها أن تكون محكومة بشريعة آل أبي سفيان منصاعين إلى هتوف الشيطان، فبعث الله تعالى أهل بيت أبرار وأصحاب أخيار يقاتلون مع أبي الأحرار كالبنيان المرصوص.

دأب الإمام عليه السلام على أن تكون حركته مرتبطة بالخط الرسالي المحمدي وعماد هذا الخط الشريف هو القرآن الكريم. فابتدأ خطابه بالوعظ والإرشاد انطلاقًا من التوجيه القرآني، واستطاع أن يلقي الحجّة البالغة على أعداءه من خلال احاطة خطاباته بالمصاديق القرآنيّة. فقد حذَّرهم من غرور الدنيا الفانية، ومتاعها المنقطع الذي لا رجاء فيه، مستنيرًا بهدي القرآن الكريم، كاشفًا للناس حقيقة أعدائه الذين استحوذ عليهم الشيطان، فأنساهم ذكر الله، فهم مصداق لحزب الشيطان الخاسرين. ثمَّ ذكَّرهم بنفسه، وبيَّن علاقته بالقرآن الكريم حين نشره على رأسه

الشريف مُذكِّرَهم بحديث الثقلين.

وفي الخطبة الثانية كشف (سلام الله عليه) صفات جماعة الغدر، وشذَّاذ الأحزاب، فهم مصداقٌ للأحزاب التي قاتلت رسول اللهﷺ، وحذَّرَ الأمّة منهم بوصفهم؛ بنبذَةِ الكتاب ومُحرِّفيه، وأنَّهم عصبة الآثام التي تريد بالأمَّة الهلاك بقتلهم أولاد الأنبياء، وإبادة العترة الطاهرة الذين صبروا على البلاء ونالوا الرضوان.

الكلمات المفتاحية:

المصاديق القرآنية، الإمام الحسين عليه السلام، يوم عاشوراء.

Quranic References in the Sermon of Imam Al-Husayn (peace be upon him) on the Day of Ashura

Asst. Lecturer Murtadha Hussein Mahan

General Directorate of Education, Baghdad / Third Al-Rusafa

Abstract:

This research aims to shed light on the interaction between Imam Al-Husayn's (peace be upon him) discourse and the values and prophetic principles conveyed by the Holy Quran. His speech reflected various aspects of a message-driven discourse that sought to awaken the conscience of the nation, utilizing effective expressions drawn from Quranic revelation and Prophetic guidance.

Imam Al-Husayn's (peace be upon him) discourse embodied the mission of leadership towards the nation left behind by the Messenger of Allah (peace and blessings be upon him and his family). As the Standard-Bearer of Reform, he stood against a nation that had been subjugated under the rule of the Umayyad dynasty, blindly following the chants of Satan. Yet, Allah Almighty had raised Ahl al-Bayt (peace be upon them) and their righteous companions as a solid, unified front against tyranny.

Imam Al-Husayn (peace be upon him) ensured that his movement remained firmly aligned with the prophetic message, with the Holy Quran as its foundation. His speech began with admonition and guidance, drawing from Quranic directives, and he established an irrefutable argument against his enemies by

embedding Quranic references in his sermons. He warned them of the deception of this fleeting world and its ephemeral pleasures, urging them to reflect on the guidance of the Holy Quran.

He exposed the true nature of his adversaries, who had been overcome by Satan, causing them to forget the remembrance of Allah. He identified them as the embodiment of "Satan's party," doomed to loss. He further reminded them of his own status, asserting his connection to the Quran when he raised it above his noble head, recalling the Hadith of Thaqalayn.

In his second sermon, Imam Al-Husayn (peace be upon him) revealed the characteristics of the treacherous faction and the remnants of the past tyrannical parties. He equated them with the alliances that fought against the Messenger of Allah (peace and blessings be upon him and his family). He warned the nation about them, describing them as those who abandoned the Book of Allah, distorted its meanings, and formed a league of sinners seeking to destroy the nation by murdering the Prophet's progeny and eradicating the pure household, who endured trials and attained divine satisfaction.

Keywords:

Quranic References, Imam Al-Husayn (peace be upon him), Day of Ashura.

المقدّمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾(١)، وأزكى الصلاة وأتمّ التسليم على المبعوث رحمة للعالمين، أبي القاسم محمّد الأمين، وعلى آله الطيّبين الطاهرين...

أمّا بعدُ:

فتُعدّ دراسة ملحمة كربلاء وسيلة مؤثّرة وفاعلة في إرشاد المجتمع نحو الهدف الإنسانيّ الذي خُلقوا من أجله؛ ألا وهو العبوديّة المطلقة لله الواحد الأحد، ففي ساحة كربلاء المجد يتحرّر الإنسان من عبوديّة السلطة الظالمة، التي أرادت للإنسان أن يكون عبدًا للشيطان والدنيا، لكن هيهات هيهات لهم ذلك، فقد تصدّى لهم سيّد الأحرار بخطابه الثوريّ، ليزلزل عروش الظالمين بصوت الحقّ، ويُسقط قناع النفاق من أدعياء الدين.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الخطابة تعدّ الركيزة الأساسيّة التي قامت عليها الكثير من الثورات والانقلابات، فهي مرتكز للقيادة والزعامة وتوجيه الجماعات برفع حميّتهم وترسيخ عقيدة الدفاع عن الأهداف الحقّة لديهم؛ لذا تهدف الدراسة إلى الوقوف على المصاديق القرآنيّة في خطاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

والمصاديق جمع مصداق ومنه الصِّدْق: الذي يأتي نَقيضًا للكذب، والصَّدقُ: الكامل من كلّ شيء، أمّا الصِّدِّيق فهو من يُصَدِّقُ بكلّ أمر الله والنبيّ صلى الله عليه وآله(٢)، وفي حديث عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّ لكلّ قول مصداقًا من عملٍ يُصدّقه ويكذّبه»(٣).

---

(١) سورة سبأ: ١.

(٢) ينظر: العين: ٥/ ٥٦.

(٣) عقود المرجان: ٤/ ١٤٨.

أمّا الخطاب فهو من الخُطْبَة: الكلامُ المَنْثُورُ المُسَجَّع، يُخاطِب به متكلّم فصيح جمعًا من الناس لإقناعهم [١]، ويرى العلماء: أنهّا الكلام المؤلّف الذي يتضمّن وعظًا وإبلاغًا على صفة معيّنة باختلاف مواردها [٢].

من هذا نجد أنّ الخطابة تتضمّن وعظًا وإبلاغًا غايته التأثير على الجماعة أو استمالتهم، وهذا ما عهدنا من رسول اللهﷺ حين يخطب بالمؤمنين، ومن بعده الأئمّة الأطهار ابتداءً بالإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام مروراً بالحسن المجتبىعليه السلام، ثمَّ سيّد الشهداء، خطيب عاشوراء، إذ عُرِفت عنه الفصاحة والبلاغة وفصل الخطاب.

وبناءً على ما تقدّم تظهر أهميّة دراسة خطاب الإمام الحسينعليه السلام عن طريق البعد القرآنيّ لذلك الخطاب، بوصفه مصداقًا من مصاديق القرآن الكريم؛ لذا جاء البحث بعنوان (المصاديق القرآنيّة في خطاب الإمام الحسينعليه السلام يوم عاشوراء)، وهو على مبحثين سبقهما تمهيد في خطابهعليه السلام ليلة عاشوراء، ذُكرت في المبحث الأوّل المصاديق القرآنيّة في الخطبة الأولى، وفيه مطالب عدّة؛ جاء المطلب الأوّل: في الموعظة الحسنة، والثاني: في ذمّ الدنيا والتذكير بالآخرة، وتحدّث الثالث: عن زمرة الشيطان، وجاء المطلب الرابع: في بيان حرمة دم الإمام الحسينعليه السلام، وآخر مطلب: كان في الثبات والشجاعة في مواجهة الأعداء.

وتضمّن المبحث الثاني المصاديق القرآنيّة في الخطبة الثانية، وفيه مطالب؛ الأوّل: الإمام الحسينعليه السلام القرآن الناطق، والمطلب الثاني: جماعة الغدر وشذّاذ الأحزاب، وجاء الثالث: في نَبَذَة الكتاب ونفثة الشيطان، والرابع: في عصبة الآثام ومحرّفي الكتاب، والخامس: عن قتلة أولاد الأنبياء، والمطلب الأخير تحدّث عن

---

(١) ينظر: لسان العرب: ١/ ٣٦١، والقاموس الفقهيّ: ١١٨.

(٢) ينظر: موسوعة الفقه الإسلاميّ المقارن: ٨/ ١١٥.

الصبر على عظيم البلاء. ثمّ جعلنا خاتمة للبحث بعدها قائمة بالمصادر التي اعتمد عليها البحث.

التمهيد: خطبة الإمام الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء

إنّ ولادة الإمام الحسين عليه السلام في بيت النبوّة ومهبط الوحي ومختلف الملائكة له الأثر الكبير في بناء شخصيّته المقدّسة، فتلك البقعة المباركة كانت المحطّة التي تزوّد منها سيّد الشهداء هدى القرآن الكريم، ومكارم الأخلاق، والروح الرساليّة المحمّديّة. ولنا أن نقف على خطاب الإمام الحسين عليه السلام لنرى حجم العلاقة والترابط بين الثقلين كتاب الله والعترة المطهَّرة المتمثّلة بسيّد شباب أهل الجنّة (سلام الله عليه)، فقد ذكر صاحب الإرشاد بأنّ الإمام الحسين عليه السلام قد جمع أصحابه عند قرب المساء ليخطب فيهم، فنقل عنه ابنه الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام قائلًا: «فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم، وأنا إذ ذاك مريض، فسمعت أبي يقول لأصحابه: أثني على الله أحسن الثناء، وأحمده على السرّاء والضرّاء، اللهمّ إنّي أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوّة وعلّمتنا القرآن وفقّهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعًا وأبصارًا وأفئدة، فاجعلنا من الشاكرين»[1]. وبلحاظ ما ذكره الإمام في هذا الخطاب نجد مصداق ذلك في كثير من الآيات الكريمة[2]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[3].

ونُقلَ عن السيّد كمال الحيدريّ أنّه يُراد بالسمع: سماع المواعظ والحكم الإلهيّة والآيات الإلهيّة، وبالبصر: مشاهدة أولياء الله وأحبّائهم ومعارفهم وتصديق

(١) الإرشاد: ٢/ ٩١، والكامل في التاريخ: ٥٧.
(٢) ينظر: سورة الملك: ٢٣، وسورة السجدة: ٩، وسورة النحل: ٧٨.
(٣) سورة المؤمنون: ٧٨.

حالهم، وبالفؤاد: الروح القدسيّ الواصل إلى الله تعالى بنور العرفان، وهذه المعاني الأخيرة ممّا لا اشتراك لجميع الناس فيها، بل تختصّ بالمقرّبين [١].

ومن جملة ما خطب به الإمام الحسين عليه السلام في تلك الليلة قوله سلام الله عليه: «فإنّي لا أعلم أصحابًا أوفى ولا خيرًا من أصحابي، ولا أهلَ بيتٍ أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عنّي خيرًا»[٢]، ولعلّ مصداق ما ذكره عليه السلام قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾[٣].

ففي هذا الجزء من الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ يرى بعض المفسّرين أنّهم الذين يصلون الرحم التي أمرهم الله بوصلها[٤]، فيعاملون الأقارب بالمودّة والحسنى، ويحسنون إلى المحاويج وذوي الخلّة منهم بإيصال الخير إليهم ودفع الأذى عنهم بقدر الاستطاعة[٥]، وذهب الرازيّ في تفسير الآية في أحد الأقوال إلى: «أَنَّ الْمُرَادَ صِلَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُؤَازَرَتُهُ وَنُصْرَتُهُ فِي الْجِهَادِ»[٦].

وروي عن الإمام الحسين عليه السلام: لمَّا أنزل اللّه تبارك وتعالى قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ﴾[٧]، أنّه سُئِل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه

---

(١) ينظر: أصول التفسير والتأويل: ٤٦٣ - ٤٦٤.
(٢) الإرشاد: ٢/ ٩١.
(٣) سورة الرعد: ٢٠- ٢١.
(٤) ينظر: جامع البيان: ١٦/ ٤٢٠.
(٥) ينظر: تفسير المراغيّ: ١٣/ ٩٣.
(٦) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٩/ ٣٤.
(٧) سورة الأحزاب: ٦.

وآله وسلّم) عن تأويلها، فقال: «واللّه ما عُني بها غيركم، وأنتم أولو الأرحام، فإذا متّ فأبوك عليّ أولى بي وبمكاني، فإذا مضى أبوك فأخوك الحسن أولى به، فإذا مضى الحسن فأنت أولى به. قلت: يا رسول اللّه فمن بعدي أولى بي؟ فقال: ابنك عليّ أولى بك من بعدك...»[١].

ثُمّ يُكمل الإمام خطبته قائلا: «ألا وإنّي لأظنّ أنّه آخر يوم لنا من هؤلاء، ألا وإنّي قد أذنت لكم فانطلقوا جميعًا في حلّ ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملا»[٢].

وفي بعض السير أنّ الإمام الحسين لمّا اختبر أصحابه ليلة عاشوراء ووجد منهم بوادر الصلابة والصمود مسح على أعينهم حتّى كشف عنها الغطاء فرأوا أماكنهم في الجنّة[٣]. وفي هذا المشهد العظيم، وقف الإمام الحسين عليه السلام ومعه أهل بيته وأصحابه، وأطلق صرخة قويّة ومدوّية محذّرا الأمّة، مفتديًا العقيدة والأمّة بدمه الطاهر الزكيّ، ومن قبلُ قال فيه جدّه رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»، فكان الحسين عليه السلام ونهضته التجسيد الحقيقيّ للإسلام الحقّ، فقد كان الخطّ الحقيقيّ للإسلام المحمّديّ متمثّلا فيه وفي أهل بيته وأصحابه رضوان اللّه تعالى عليهم[٤].

وهو مصداق من مصاديق قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ

---

(١) ينظر: تفسير الإمام الحسين: ١٥٩، وموسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٥٥٩.

(٢) الإرشاد: ٢/ ٩١، «ومن أمثال العرب: اتّخِذ فلانٌ اللّيلَ جملًا: إذا سرى كُلَه، أو إذا ركبته ومضيت»، ينظر: العين: ٦/ ١٤٢.

(٣) ينظر: موسوعة الكلمة: ٢١/ ٣٦٢.

(٤) ينظر: أعلام الهداية: ٥/ ١٤٧.

صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ﴾[١]، وفي معرض تفسير الآية المباركة، روي عن الإمام الحسين عن عليّ عليهما السلام في خطبة له قال: «واعلموا أيّها المؤمنون أنّ اللّه عزّ وجلّ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ﴾ أتدرون ما سبيل اللّه؟ ومن سبيله؟ ومن صراط اللّه؟ ومن طريقه؟ أنا صراط اللّه الذي مَن لم يسلكه بطاعة اللّه فيه هوى به إلى النار، وأنا سبيله الذي نصّبني للاتّباع بعد نبيّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)، أنا قسيم النار، أنا حجّته على الفجّار، أنا نور الأنوار»[٢].

المبحث الأوّل: المصاديق القرآنيّة في الخطبة الأولى للإمام الحسين عليه السلام

المطلب الأوّل: الموعظة الحسنة

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٣].

بعد أن صفَّ ابن سعد أصحابه للحرب، دعا الإمام الحسين عليه السلام براحلته فركبها، ونادى بصوت عالٍ يسمعه جلّهم: «أيّها الناس اسمعوا قولي، ولا تعجلوا حتّى أعظكم بما هو حقّ لكم عليَّ، وحتّى أعتذر إليكم من مقدمي هذا وأُعذَر فيكم، فإن قبلتم عذري[٤]، وصدّقتم قولي، وأعطيتموني النَصَفَ من أنفسكم، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليَّ سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر، ولم تعطوني النَصَفَ من أنفسكم، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة ثمّ اقضوا إليَّ ولا تُنظرونِ»[٥].

---

(١) سورة الصف: ٤.

(٢) تفسير الامام الحسين عليه السلام: ٢٨٥.

(٣) سورة النحل: ١٢٥.

(٤) ينظر: (العُذْر: النُجْحُ. ولي فِي هَذَا الَأمر عُذْر وعُذْرَى ومَعْذِرة أَي خُرُوج من الذَّنب. وَيُقَال فِي الْحَرْب: لمن العُذْر أَي النُجْح والغَلَبة)، تهذيب اللغة: ٢/ ١٨٧.

(٥) ينظر: مقتل الحسين، السيّد عبدالرزاق المقرّم: ٢٣٦.

المقاربة فيما ذكره الإمام الحسين عليه السلام تكون في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[١]، ثمّ جاء سلام الله عليه بآية من سورة الأعراف، قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[٢].

وينبغي الإشارة إلى أنّ الجهاد المقدّس في الدين إنّما هو لأجل مصلحة العدوّ حقيقة، وليس من أجل الحقد عليه والانتقام منه، ولذا تكون ظاهرة الأبوّة والأخوّة هي المسيطرة على قلوب الجيش المؤمن، مهما كان الاتّجاه العاطفيّ عند الجيش المعادي، ولذا ورد أنّ الإمام الحسين عليه السلام في عرصة الطفّ بكى على الجيش المعادي له؛ لاقترافهم هذه الجريمة بحقّه، ومن ثَمّ بحقّ ربّهم وظلمهم لأنفسهم، فإنّ المقصود الأساسيّ من الجهاد هو حبّ البشريّة وإدخال البلاد الأخرى في العدل والرفاه وإخراجها من الظلمات إلى النور، وهداية المجتمع إلى الصراط المستقيم، وهذا كان مقصود رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام في حروبهم التي خاضوها[٣].

فإن قيل: إنّ الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾[٥] ينافي ما قيل من ابتناء الدين على الأبوّة والرحمة والعطف، نقول: لا منافاة بينهما؛ فإنّ الأبوّة والعطف والهداية هي الهدف الأهمّ أو الأبعد، وهذا قد يستدعي مقدّمات شديدة الصعوبة

(١) سورة يونس: ٧١.
(٢) سورة الأعراف: ١٩٦.
(٣) ينظر: فقه الأخلاق: ٢/ ٣٠١.
(٤) سورة التوبة: ٧٣.
(٥) سورة النور: ٢.

أو عظيمة القسوة، بما فيها استئصال كلّ المعاندين والمنافقين والماكرين في دين الله؛ فإنّ هؤلاء بمنزلة الجراثيم في المجتمع فيجب إزالتهم قبل توقّع استتباب العدل؛ لأنّهم ما داموا أحياء فلن يكون المجتمع عادلًا، إذن، ينبغي القسوة معهم مهما أمكن، وبتعبير آخر إنّ الأصل الحقيقيّ والأساسيّ هو الأخوّة والرحمة، عدا من كان قاسيًا ضدّ الإيمان والإسلام، فيجب مقابلة القسوة بالقسوة [١].

المطلب الثاني: ذمّ الدنيا والتذكير بالآخرة

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[٢]، ثمّ قال سلام الله عليه: «الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرّفة بأهلها حالًا بعد حال، فالمغرور من غرّته، والشقي من فتنته، فلا تغرّنّكم هذه الدنيا فإنّها تقطع رجاء من ركن إليها وتخيّب طمع من طمع فيها»[٣].

إنّ المتاع في اللغة: هو كلّ ما ينتفع به من أعراض الدنيا قليلها وكثيرها، ومن ملذّاتها وشهواتها، وزينتها وزبرجها، الذي يغرّ الكائن الحيّ، ومتاع الدنيا غرّار خدّاع، فما أحرى العاقل بالتفكّر والتبصّر والاستفادة من دنياه لآخرته؛ لأنّه سريعًا ما يموت ويجد نفسه بين يدَي جبّار السماوات والأرض، واقفًا للحساب على الصغيرة والكبيرة[٤].

إنّ مثلَ الحياة الدنيا كمثل السراب الّذي يجذب العطاشى نحوه في الصحراء

---

(١) ينظر: فقه الأخلاق: ٢/ ٣٠٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٨٥.

(٣) ينظر: مقتل الحسين، السيد عبد الرزاق المقرّم: ٢٣٦.

(٤) ينظر: الجديد في تفسير القرآن المجيد: ٢٠٩.

المحرقة ولكنّهم لا يحصلون على شيء منه أخيرًا، وهكذا حال التعلّقات المادّيّة الدنيويّة، فإنّها تجذب أصحاب الدنيا نحوها طمعًا في إرواء ظمأهم وعطشهم إلّا أنّهم لا يجدون ما يطلبونه في هذا المسير المنحرف بل يزدادون ظمأً وحُرقة، وكما أنّ السراب يبتعد عن الإنسان كلّما مشى نحوه وهكذا يظلّ يركض وراءه حتّى يهلك، فكذلك الدنيا تبتعد عن الإنسان كلّما اتّجه نحوها فتزيده عطشًا لها وإرهاقًا حتّى يهلك، ونرى هذه الحالة في الكثير من أصحاب الدنيا الّذين يركضون وراء متاع الدنيا وزخارفها سنوات مديدة من عمرهم وعندما يحصلون على شيء منها فإنّهم يُصرّحون بأنّهم لم يجدوا ضالّتهم، ألا وهي (الهدوء النفسيّ والطمأنينة الروحيّة)، بل يعيشون الجفاف الروحيّ أكثر ويجدون أنّ ملذّات الحياة الدنيا تقترن دائمًا مع الأشواك والمنغّصات، وبدلًا من أن تورِّثَهم الهدوء والطمأنينة فإنّها تعمل على إذكاء حالة القلق والاضطراب في جوانحهم وأعماق وجودهم وبذلك لا يجدون مبتغاهم فيها[1].

المطلب الثالث: زمرة الشيطان

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ * فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[2].

في هذا المورد جاء في خطابه عليه السلام قوله: «وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتّم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وجنّبكم

(١) ينظر: الأخلاق في القرآن: ٢/ ٩٣.
(٢) سورة محمد: ٢٥- ٢٨.

رحمته»[١]. قال تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٢].

ثمّ من جملة ما خطب به الإمام الحسين عليه السلام قوله: «فنعم الربّ ربّنا وبئس العباد أنتم، أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمّد ثمّ أنّكم رجعتم إلى ذرّيّته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر اللّه العظيم فتبّا لكم ولما تريدون، إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبُعدا للقوم الظالمين»[٣].

قال تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ*إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾[٥].

يذكر صاحب الأمثل في هذا المورد من الآيتين: إنّ المنافقين المغرورين بأموالهم ومقامهم، ليس لهم مصير سوى أن يكونوا تحت سيطرة الشيطان واختياره ووساوسه بصورة تامّة، وينسون الله بصورة كليّة، إنّهم ليسوا منحرفين فحسب، بل إنّهم في زمرة الشيطان وهم أنصاره وحزبه وجيشه في إضلال الآخرين، إذ يقول

---

(١) ينظر: مقتل الحسين، السيّد عبد الرزاق المقرّم: ٢٣٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٢.

(٣) ينظر: مقتل الحسين، السيد عبد الرزاق المقرّم: ٢٣٧، وتفسير نور الثقلين: ٧ / ٣٠١، وتفسير الإمام الحسين عليه السلام: ٢٨٢.

(٤) سورة المائدة: ٧٩- ٨٠.

(٥) سورة المجادلة: ١٩- ٢٠.

الإمام علي عليه السلام في بداية وقوع الفتن والخلافات «أيّها الناس، إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تُتّبع، وأحكام تُبتدع، يُخالَف فيها كتاب الله... فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى»[١] كما يُلاحظ نفس هذا التعبير في كلام الإمام الحسين عليه السلام عندما شاهد صفوف أهل الكوفة بكربلاء كالليل المظلم والسيل العارم أمامه[٢].

المطلب الرابع: حرمة دم الإمام الحسين عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾[٣].

جاء في خطاب الإمام الحسين عليه السلام قوله: «أيّها الناس، انسبوني من أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، وانظروا هل يحلّ لكم قتلي، وانتهاك حرمتي، ألست ابن بنت نبيّكم وابن وصيّه وابن عمّه، وأوّل المؤمنين بالله، والمصدّق لرسوله بما جاء من عند ربّه؟ أو ليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟ أو ليس جعفر الطيّار عمي؟ أو لم يبلغكم قول رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي: (هذان سيّدا شباب أهل الجنة)، فإن صدّقتموني بما أقول وهو الحقّ فو اللهِ ما تعمّدتّ الكذب منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، ويضرّ به من اختلقه»[٤]، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ

(١) نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣ / ٢٤٠.
(٢) ينظر: تفسير الأمثل: ١٨/ ١٤٦- ١٤٧.
(٣) سورة الإسراء: ٣٣.
(٤) ينظر: مقتل الحسين، السيّد عبد الرزاق المقرّم: ٢٣٧.
(٥) سورة النساء: ١٥٥.

النَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ الَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي الدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[1].

المطلب الخامس: الثبات والشجاعة في مواجهة الأعداء

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ الۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ * وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي الۡأَرۡضِ الۡفَسَادَ * وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ الۡحِسَابِ﴾[2].

ينقل ابن الأثير في الكامل: أنّ قيس بن الأشعث قال للإمام الحسين عليه السلام: «أو لا تنزل على حكم بني عمّك، فإنّهم لن يروك إلّا ما تحبّ، ولن يصل إليك منهم مكروه؟ فقال عليه السلام: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم أكثر من دم مسلم بن عقيل، لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد، عباد الله إنّي عذت بربّي وبربّكم أن ترجمون، أعوذ بربّي وربّكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب، ثم إنّه عليه السلام أناخ راحلته فعقلها عقبة بن سمعان»[3].

لقد أصابت الأمّة حالة من الركود حتّى أنّها لم تعد تتحرّك لاتّخاذ موقف عمليّ واقعيّ تجاه الحاكم الظالم، فالجميع يعرف من هو يزيد وبماذا يتّصف من رذائل الأخلاق ممّا تجعله غير لائق أبدا بأن يتزعّم الأمّة الإسلاميّة، في مثل هذا الظرف وقف الكثيرون حيارى يتردّدون في قرارهم، فتحرّك الإمام الحسين عليه السلام ليجسّد الموقف الرساليّ الرافض للظلم والفساد، في حركة قويّة واضحة مقرونة بالتضحية

(١) سورة آل عمران: ٢١- ٢٢.

(٢) سورة غافر: ٢٥- ٢٧.

(٣) الكامل في التاريخ: ٤/ ٦١ - ٦٢، ومقتل الحسين، السيد عبد الرزاق المقرّم: ٢٣٧.

والفداء، من أجل العقيدة الإسلاميّة، لتتّخذ الأمّة الموقف ذاته تجاه الظلم والعدوان[١].

وهذا جانب آخر من عظمة الإمام الشهيد، ولكنّه أنبلها جميعًا وذلك إذا رأينا كيف يَفقد المبدأ والصراحة والمضاء ما فيها من معان إذا أرضت صاحبه شهوة أو أقنعه مُنفَس، أو أجاب إلى دنيا، وليست تفقد معناه فحسب بل ينقلب النبل فيها عابًا، والشرف حطّة، فكان الإباء حجر الأساس وركن الزاوية، وكذلك أبى الإمام عليه السلام إلّا الإباء، ونطق بها كلمة تفرق منها نفس العاتي وتضؤل معها كبرياء الظالم[٢].

ثمّ قال عليه السلام: «ثمّ ايمُ اللّه لا تَلبثونَ بَعدَها إلّا كَريثِ ما يُركَبُ الفرسُ حتّى تدورَ بِكُم دَورَ الرَّحى، وتقلُقَ بكم قَلَقَ المحوَرِ عهدٌ عهدَهُ إليّ أبي عن جدّي فأجمِعوا أمركُم، وشركائكم ثمَّ لا يكُنْ أمرُكم عليكُم غُمَّة ثمَّ اقضُوا إليَّ ولا تُنظِرون إنِّي توكَّلتُ على اللّهِ ربّي وربِّكم ما مِن دابّةٍ إلّا هو آخذٌ بناصيَتِها إنَّ ربّي على صِراطٍ مستقيمٍ»[٣].

فالأمّة التي تنعدم في أفرادها تلك الشجاعة الروحيّة الأخلاقيّة، يكون مصيرها إلى العدم والفناء، وتصير أسيرة سلطة الأجانب والطامعين، فبقاء الأمم وعزَّتها وكرامتها رهنُ ترجمتها للشجاعة، والتقيُّدات الزائدة، والاحتياط بلا دليل، وخداع عوامّ الناس، وعدم قبول الرأي الآخر والنقد، ومنع الحرّيّات، وكتم الأنفاس والفكر، والتهوّر في العمل، والتجاسر المجنون، والضعف الروحيّ وعدم الصبر،

(١) ينظر: أعلام الهداية: ٥/ ١٤٥.
(٢) ينظر: أشعّة من عظمة الإمام الحسين عليه السلام: ١٦٦.
(٣) مقتل الحسين، الموفّق الخوارزميّ: ٢/ ١٠، وأشعّة من عظمة الإمام الحسين عليه السلام: ١٦٦.

والظلم والعمالة للأجنبيّ، وخيانة الأمّة، والسرّيّة والتستّر في الأمور، والخنوع والذلّ، كلّها أمور كاشفة عن فقدان الشجاعة. أمّا ضبط النفس والثبات والاستقامة، والصراحة ومقاومة الصعاب والعقبات، ومواجهة منعطفات الحياة، وقبول النقد والحوار البنّاء، واحترام حرّيّات الآخرين، فكلّها أمور تفرزها الشجاعة، وكلّ مظاهر هذه الشجاعة قد تجسّدت في الحسين عليه السلام، وكانت روحه مكان جسمه مركز عرض أسمى مراتب الشجاعة حتّى صارت الشجاعة الحسينيّة[١].

المبحث الثاني: المصاديق القرآنيّة في الخطبة الثانية للإمام الحسين عليه السلام

المطلب الأوّل: الإمام الحسين عليه السلام القرآن الناطق

قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[٢].

بعد أن خطب الإمام الحسين عليه السلام خطبته الأولى بجيش عمر ابن سعد يوم العاشر من المحرّم، خطب عليهم ثانية لإلقاء الحجّة، بعدما أخذ مصحفًا ونشره على رأسه، فقال: «يا قوم إنّ بيني وبينكم كتاب الله وسنّة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ استشهدَهم عن نفسه المقدّسة، وما عليه من سيف النبيّ ودرعه وعمامته، فأجابوه بالتصديق، فسألهم عمّا أقدمهم على قتله؟ قالوا: طاعةً للأمير عبيد الله بن زياد»[٣].

لقد كان غياب فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نتيجة طبيعية لتولّي الزعامة المنحرفة، ولزوم إطاعة الوالي وحرمة نقض بيعة تمّت حتّى لو كانت

---

(١) ينظر: أشعّة من عظمة الإمام الحسين عليه السلام: ١٥٦ – ١٥٧.

(٢) سورة الأنعام: ١٩.

(٣) مقتل الحسين، السيد عبد الرزاق المقرّم: ٢٣٧.

منحرفة، وكذلك حرمة شقّ وحدة الكلمة، وقد وصف الإمام عليه السلام هذه الحالة بقوله: «ألا ترون أنّ الحقّ لا يعمل به وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه؟ ! ليرغب المؤمن في لقاء اللّه»[١]؛ لذا تطلّب الأمر أن يبرز ابن النبيّ صلى الله عليه وآله للجهاد وهو يحمل السيف في محاولة لإعادة الحقّ إلى نصابه عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أدلى عليه السلام بذلك في وصيّته لأخيه محمّد بن الحنفية حين كتب له: «إنّي لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا ظالمًا ولا مفسدًا، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[٢].

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

(١) تاريخ الطبريّ: ٥ / ٤٠٣.
(٢) أعلام الهداية: ٥/ ١٤٨.
(٣) سورة التوبة: ١١١- ١١٢.

المطلب الثاني: جماعة الغدر وشذّاذ الأحزاب

قال تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[١]. فقال عليه السلام: «تبّاً لكم أيّتها الجماعة وترحاً[٢]، أحين استصرختمونا والهين[٣]، فأصرخناكم موجفين[٤]، سللتُم علينا سيفًا لنا في أيمانكم، وحششتم علينا نارًا اقتدحناها على عدوّنا وعدوّكم، فأصبحتم إلْبًا[٥] لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلّا لكم الويلات، تركتمونا والسيف مشيم[٦]، والجأش[٧]طامن[٨]، والرأي لمّا يستحصف[٩]، ولكن أسرعتم

(١) سورة مريم: ٣٧.

(٢) ينظر: التَّرَحُ: نَقِيضُ الْفَرَحِ. وتَرَّحَه الأَمرُ تَتْرِيحًا، أَي: أَحْزَنه، وقيل: التَّرَحُ الهَبوط. ينظر: تاج العروس.

(٣) ينظر: الوَلَهُ: الْحُزْنُ، وَقِيلَ: هُوَ ذِهَابُ الْعَقْلِ وَالتَّحَيُّرُ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ أَو الْحُزْنِ أَو الْخَوْفِ. والوَلَهُ: ذِهَابُ الْعَقْلِ لِفِقْدانِ الْحَبِيبِ، ينظر: لسان العرب: ١٣/ ٥٦١.

(٤) ينظر: وَجَفَ الشَّيْءُ ﴿يَجِفُ﴾ وَجْفًا: اضْطَرَبَ وقَلْبٌ، وواجِفٌ: مُضْطَرِبٌ خافِقٌ، قالَ اللهُ تعَالَى: «قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَةٌ»: أَي شَدِيَدةُ الاضْطِرابِ، والوَجِيفُ: ضَرْبٌ من سَيْرِ الخَيْلِ والإِبِلِ سَرِيعٌ، وأَوْجَفْتُه: حَثَثْتُه. ينظر: تاج العروس.

(٥) ينظر: الأَلْبُ: الصَّغْوُ. يُقال: أَلْبُهُ مَعَهُ. وصار النّاسُ علينا أَلْبًا واحدًا في العداوة والشّرّ. وقد تألّبوا عليه تألُّبًا، إذا تضافروا عليه. ينظر: العين: ٨/ ٣٤١.

(٦) ينظر: وشمت السيف: أغمدته. وشمته: سَلَلْتُهُ، وهو من الأضداد. ينظر: تاج اللغة وصحاح العربيّة، ٥/ ١٩٦٣.

(٧) ينظر: الجأش: جاشَتْ نفسُه جَيْشاً، إذا دَارَت للغَثَيان، وجَشَأَت، إذا ارْتَفَعَتْ من حُزْنٍ أَو فَزع، رُوَاعُ القَلْبِ، إذا اضطربَ عِنْد الفَزَع، يُقَال: إنَّه لَوَاهِي الجأْشِ، وإذا ثَبَت قيل: إنَّه لَرابِطُ الجأْش. الَّذِي يَرْبِطُ نفسَه عَن الفِرار، يَكُفُّها لجُرْأَتِه وشَجاعَته. تهذيب اللغة: ١١/ ٩٣.

(٨) ينظر: طَأْمَنَ الشيءَ: سَكَّنه. والطُّمَأْنِينَةُ: السُّكونُ، وَيُقَالُ: طَامَنَ ظَهْرَهُ إِذا حَنى ظَهْرَهُ، واطْمَأَنَّت الأَرضُ وتَطَأْمَنَتْ: انْخَفَضَتْ. وطَمْأَنَ ظَهْرُهُ وطَأْمَنَ بِمَعْنًى، عَلَى الْقَلْبِ. ينظر لسان العرب: ١٣/ ٢٦٨.

(٩) الحَصْفُ: الإِقْصَاءُ والإِبْعَادُ، كالإِحْصَافِ، الجَرَبُ اليابِسُ. وحَصِفَ: اسْتحْكَمَ عَقْلُهُ، فهو حَصِيفٌ. وأَحْصَفَ الأمرَ: أَحْكَمَهُ، واسْتَحْصَفَ: اسْتَحْكَمَ. ينظر: القاموس المحيط: ١/ ٨٠٠.

إليها كطيرة الدَّبا،[١] وتداعيتم إليها كتهافت الفراش[٢]، ثمّ نقضتموها، فسُحقاً لكم يا عبيد الأمّة، وشذّاذ الأحزاب[٣]»[٤].

بدأت الرسالة موضعًا للخلاف بدلًا من أن تكون حلّا لما يختلفون فيه، انطلاقًا من النوازع الذاتيّة، والمصالح المادّيّة «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا من مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ»؛ لأنّ ذلك هو ما يستحقّه الظالمون الذين يظلمون أنفسهم بالابتعاد عن اللَّه، ويظلمون الحياة كلّها بالابتعاد بها عن خطّ التوحيد الذي هو أساس التوازن بين الإنسان والحياة من حوله[٥].

والأمر متّصل بقوله تعالى: ﴿وَقالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزابِ﴾[٦]، في تشبيههم بالأمم التي سبقتهم وتكتّلت أحزابا للكفر، وجماعات للضلال، وتمرّدت على اللَّه وواجهت رُسُله، وحاربت رسالاته، هؤلاء الذين عذّبهم اللَّه في الدنيا قبل الآخرة، بعد أن أقام عليهم الحجّة[٧].

يقسّم القرآن الناس إلى فرقتين، أصحاب الجنّة وأصحاب النار، ولقد كان

---

(١) الدَّبا، مَقْصُورٌ: الجَرَادُ قبلَ أَن يَطِير، وَقِيلَ: هُوَ نَوْعٌ يُشْبِه الجَرادَ. والْجَرَادُ أَوَّلَ مَا يَكُونُ سْرِوٌ، وهُو أَبْيض، فَإِذَا تَحَرَّك واسْوَدّ فَهُوَ دَبًى قبلَ أَن تَنْبت أَجنحته. ينظر: لسان العرب: ١٤/ ٢٤٨.

(٢) الهفت: تهافت الشَّيْء وتساقطه نَحْو سُقُوط الْوَرق عَن الشّجر. وقيل: تهافت الفراش في النار: تساقط متتابعًا. ينظر: جمهرة اللغة: ١/ ٤٠٦، وأساس البلاغة: ٢/ ٣٧٦.

(٣) شذذ: شَذَّ عَنْهُ يَشِذُّ ويَشُذُّ شُذُوذًا: انْفَرَدَ عَنِ الْجُمْهُورِ وَنَدَرَ، فَهُوَ شاذٌّ وجاؤوا شُذَّاذًا أَي قِلالاً. وشُذَّاذُ النَّاسِ: الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي الْقَوْمِ لَيْسُوا فِي قَبَائِلِهِمْ وَلَا مَنَازِلِهِمْ. وشُذَّاذُ الناس: متفرقوهم. ينظر: لسان العرب: ٣/ ٤٩٤.

(٤) اللهوف في قتلى الطفوف: ٥٨ – ٥٩.

(٥) ينظر: من وحي القرآن: ٢٠/ ٢٦٠.

(٦) سورة غافر: ٥.

(٧) ينظر: من وحي القرآن: ٢٠/ ٤٠.

أمير المؤمنين عليه السلام حقيقة القرآن؛ لذا فقد كان وجوده العينيّ والخارجيّ، أي: مقام الولاية، يقسّم الناس – كما يفعل القرآن – إلى فرقتين، قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾(٢)(٣).

وتجدر الإشارة إلى ما رواه الخوارزميّ في مقتل الإمام الحسين عليه السلام أنّه: «سار حتّى إذا صار بذات عرق لقيه رجل من – بني أسد – يُقال له بشر بن غالب فقال له الحسين: ممّن الرجل؟ قال من بني أسد، قال: فمن أين أقبلت، قال: من العراق، قال: كيف خلّفت أهل العراق؟ فقال: يا ابن رسول اللّه! خلّفت القلوب معك والسيوف مع بني أميّة، فقال له الحسين: صدقت يا أخا بني أسد إنّ اللّه تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فقال له الأسديّ: يا ابن رسول اللّه! أخبرني عن قول اللّه تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ﴾(٤)، فقال له الحسين عليه السلام: نعم، يا أخا بني أسد! هما إمامان، إمامُ هدًى دعا إلى هدًى، وإمامُ ضلالةٍ دعا إلى ضلالةٍ، فهذا ومَن أجابه إلى الهدى في الجنّة، وهذا ومَن أجابه إلى الضلالة في النار» (٥).

وروى محمّد بن الأرقط عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنّ الإمام سأله: «تنزل الكوفة؟ قلت: نعم، قال: فترون قتلة الحسين بين أظهركم؟ قال: قلت جعلت فداك ما بقي منهم أحد، قال: فإذن أنت لا ترى القاتل إلّا مَن قتل، أو مَن ولي القتل، ألم تسمع إلى قول اللّه: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ

(١) سورة الشورى: ٧.
(٢) سورة الإنسان: ٣.
(٣) ينظر: نور ملكوت القرآن:١/ ٣٠٤.
(٤) سورة الإسراء: ٧١.
(٥) ينظر: مقتل الحسين: ١/ ٣١٨، وتفسير الامام الحسين عليه السلام: ١٩٥-١٩٦.

كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[١] فأيّ رسول قبل الذي كان محمّد صلى الله عليه وآله بين أظهركم ولم يكن بينه وبين عيسى رسول، إنّما رضوا قتل أولئك فسمّوا قاتلين»[٢].

المطلب الثالث: نَبَذَةُ الكتابِ ونَفَثَةُ الشيطان

أوّلًا: نَبَذَة الكتاب:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ * أَوَ كُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٣].

ذهب الرازيّ في تفسير هذه الآيات إلى: «أنّ المقصود من هذا الاستفهام الإنكار وإعظام ما يُقدِمون عليه؛ لأنّ مثل ذلك إذا قيل بهذا اللفظ كان أبلغ في التنكير والتبكيت ودلّ بقول: أَوْ كُلَّمَا عَاهَدُوا على عهد بعد عهد نقضوه ونبذوه بل يدلّ على أنّ ذلك كالعادة فيهم فكأنّه تعالى أراد تسلية الرسول عند كفرهم بما أنزل عليه من الآيات بأنّ ذلك ليس ببدع منهم، بل هو سجيّتهم وعادتهم، وعادة سلفهم على ما بيّنه في الآيات المتقدّمة من نقضهم العهود والمواثيق حالاً بعد حال؛ لأنّ من يعتاد منه هذه الطريقة لا يصعب على النفس مخالفته»[٤].

وهنا تحصل المقاربة بين مَن نَبَذَ الكتاب من أعداء الإمام الحسين عليه السلام وبين من ذكرتهم الآيات الكريمة، فهم مصداق لنَبَذَة الكتاب والعترة المطهّرة في قتالهم سيّد الشهداء؛ لذا فإنّ الواجب على كلّ مسلم أن يوصل نفسه إلى مرحلة إدراك الكلّيّات للوصول إلى حقيقة الآيات القرآنيّة، ثمّ يحصل بتهذيب الأخلاق وتطهير

---

(١) سورة آل عمران: ١٨٣.
(٢) ينظر: الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنّه: ٦/ ١١١.
(٣) سورة البقرة: ٩٩- ١٠٠.
(٤) مفاتيح الغيب: ٣/ ١٨٣.

النفس على قابليّة نيل تأويلات القرآن، وأن لا يكتفي بالقراءة المحضة، والحفظ المحض، وإلّا فإنّ الكثير من الحكّام الجائرين والظَّلَمة على مرّ التأريخ كانوا يقرؤون التأريخ ويستدلّون به لمنافعهم وأغراضهم [١].

ثانيًا: نفثة الشيطان[٢]:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٣].

قال الإمام الحسين عليه السلام في تفسير هذه الآية المباركة: «وأحذّركم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بكم، فإنّه لكم عدوّ مبين فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم ﴿لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ وَقالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ فتلقون للسيوف ضربًا، وللرماح وردًا، وللعمد حطمًا، وللسهام غرضًا، ثمّ لا يقبل من نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا»[٤].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «اللهُمّ إِنّي أَعُوذ بِكَ من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، من هَمْزِه ونَفْثِه ونَفْخِه»[٥].

---

(١) ينظر: نور ملكوت القرآن: ١/ ٣٠٤.

(٢) النَّفْثُ: أَقلُّ مِنَ التَّفْل، لأن التَّفْلَ لاَ يَكُونُ إِلاَّ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الرِّيقِ؛ والنفثُ: شَبِيهٌ بِالنَّفْخِ؛ وَقِيلَ: هُوَ التَّفْلُ بِعَيْنِهِ، ومنه الحيَّةُ تَنْفُثُ السمَّ حِينَ تَنْكُزُ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ)، هُنَّ السَّواحِرُ. والنَّوافِثُ: السَّوَاحِرُ حِينَ يَنْفُثْنَ فِي العُقَد بِلَا رِيقٍ. لسان العرب: ٢/ ١٩١، ١٩٢.

(٣) سورة الأنفال: ٤٨.

(٤) ينظر: تفسير الإمام الحسين: ١٥٨.

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٢٧/ ٣٢٤، رقم الحديث (١٦٧٦٠)، وسنن الدارميّ: ١/ ٢٨٩، وتهذيب اللغة: ١٤/ ٢٤٤.

إنّ يوم الطّفّ يشبه يوم القيامة حين يوعد الشّيطان أتباعه بالفوز والنّجاة، وحذّرهم اللّه منه، فعصوا الرّحمن، واتّبعوا الشّيطان، ولمّا جاء يوم الفصل أنكرهم، وتبرّأ منهم، وقال: ﴿إِنِّي أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ﴾[١]، وقال اللّه سبحانه: ﴿وَقالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَما كانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[٢].

ومصداق ذلك: وعد عبيد اللّه بن زياد عمر بن سعد ولاية الرّي إذا قاتل الحسين، وكان يتطلّع إليها، ويطمع فيها، فقبل وقاد الجيوش، وحذّره سيّد الشّهداء من العاقبة، وقال له: يا ابن سعد أتقاتلني؟! أما تتّقي اللّه الّذي إليه معادك؟ أتقاتلني وأنا ابن من علمت؟ ألا تكون معي، وتدع هؤلاء؛ فإنّه أقرب إلى اللّه تعالى؟! ولمّا آيس منه الحسين قال له: مالك؟ ذبحك اللّه على فراشك عاجلا، ولا غفر لك يوم الحشر، فو اللّه إنّي لأرجو ألّا تأكل من برّ العراق إلّا يسيرًا، فقال ابن سعد مستهزئًا في الشّعير كفاية، واخلف ابن زياد بوعده لابن سعد، كما أخلف الشّيطان مع أتباعه، وصدق الحسين، فلم تمض الأيّام حتّى قُتل عمر وابنه حفص على يد المختار[٣].

المطلب الرابع: عصبة الآثام ومحرّفي الكتاب

قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ

(١) سورة الحشر: ١٦.
(٢) سورة إبراهيم: ٢٢.
(٣) ينظر: الحسين وبطلة كربلاء: ١٠٩.

الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١].

حين يكون الإسلام مجرّد لقلقة لسان نجد الكثيرين يدعون إلى الإسلام، ولكن إذا حانت مرحلة العمل تجد الكثيرين منهم يسارعون في الكفر، ويخالفون تعاليم السماء، ويتّبعون الأنظمة الطاغوتيّة الفاسدة، وحسبما يدلّ عليه السياق والذين يسارعون في الكفر قد يكونون من المنافقين، وإنّ كلمة (السماع) تدلّ على حالة نفسيّة تدفعهم إلى البحث عن الكذب لتقبّله، وذلك بسبب انحرافهم النفسيّ من الحقيقة، ووراء هذه الفئة مجموعة أخرى هم كبّارهم وأسيادهم، وأولئك يضعون لهؤلاء ثقافة منحرفة، ويأمرونهم بأن يتّخذوها مقياسًا لهم، مثل أن تكون الكلمة قد توضّح معناها، ثمّ يُحرّفونها أو تكون الكلمة قد حُرّفت مصاديقها الواضحة، ثمّ ابتدعوا لها مصاديق أخرى غير صحيحة؛ لأنّ قلوب هؤلاء مملوءة بثقافات غريبة وبعيدة عن الحقيقة قد اختاروها لأنفسهم ولتحقيق أطماعهم وشهواتهم؛ لذلك اختار الله لهم الضلالة، ومَن اختار الله تضليله فإنّ الناس لا يمكنهم هدايته[٢].

وهنا نرى أنّ الخلافة الظالمة كانت تعتمد على بعض اليهود أو النصارى، وهم يعلمون أنّهم يريدون السوء بالإسلام، بل كانت الخلافة عميلة إلى ملك الدولة البيزنطيّة بمقدار فهم الدول يومئذ، وأنّ تلك الخلافة تتّفق معهم في الدنيا وإن لم تتّفق معهم في الدين، وهم يعلمون أنّ هؤلاء قد أسقطوا الدين وأخذوا بالدنيا، والنصارى واليهود أيضًا قد أسقطوا الدين وأخذوا بالدنيا، زد على ذلك وجود أيادٍ

(١) سورة المائدة: ٤١.

(٢) ينظر: من هدى القرآن: ٢/ ٢٢٨.

عاملة في المجتمع تدافع عن الدولة الأجنبيّة، ويأخذونهم بنظر الاعتبار، فهم رسلهم ونواظرهم، ونحو ذلك من الأمور، وليس تقرّب هؤلاء، أي: (سرجون) وأمثاله، لأجل المصلحة الشخصيّة، وإنّما لأجل المصلحة العامّة بنظرهم، أي: خدمة الدولة الظالمة التي ينتمي إليها، ويمكن أن نقول بصراحة إنّ من قتل الحسين عليه السلام إنّما هو الدولة البيزنطيّة، وكذلك يمكن أن يقال: إنّ من قتل باقي الأئمّة عليهم السلام إنّما هي الدولة البيزنطيّة، على أيدي عملائها من ملوك بني أميّة وبني العبّاس، ولا يستبعد أن يُنسب مقتل أمير المؤمنين عليه السلام إليهم، بل لا يستبعد أن يُنسب مقتل النبيّ صلى الله عليه وآله إليهم؛ فهم يريدون بوسيلة وبأخرى الإطاحة بالشيعة وبقادتهم؛ لأنّهم لا يتّفقون معهم بدين ولا في دنيا[١].

ولقد كان أهل الكوفة يقرؤون القرآن، ويحملونه في حمائلهم، لكنّهم سلّوا السيف الذي وضعه القرآن في أيديهم، فجعلهم ذوي عزّة ومنعة، وأنجاهم من ذلّ العبوديّة والهمجيّة وإطاعة عبيد مثلهم؛ فقتلوا به إمام الزمان، أي: حقيقة القرآن ووجوده التكوينيّ والعينيّ والخارجيّ، ثمّ استدلّوا بالقرآن نفسه على وجوب قتله![٢].

روى الشيخ الكلينيّ بسنده، عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام أنّه قال: «قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): أَنَا أَوَّلُ وَافِدٍ عَلَى العَزِيزِ الجَبَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكِتَابُهُ، وَأَهْلُ بَيْتِي؛ ثُمَّ امَّتِي؛ ثُمَ أَسْأَلُهُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَبِأَهْلِ بَيْتِي؟»[٣].

وانقسم النّاس في كربلاء فريقين: فريق مع الحسين، وفريق مع ابن سعد، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ

(١) ينظر: شذرات من فلسفة تأريخ الحسين عليه السلام: ٢٩٨- ٣٠٠.
(٢) ينظر: نور ملكوت القرآن: ١/ ٣٠٤.
(٣) أصول الكافي: ٢/ ٦٠٠.

يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[١].

وبرز كلّ إنسان على حقيقته، وأخذ المكان الّذي يستحقّه، فلم يختلط الطّالح مع الصّالحين، ولا الصّالح مع المجرمين، تمامًا كما هو الشّأن في يوم القيامة، إذ لا رياء، ولا نفاق، ومساومات. وقد اختلط في بدء الأمر وقبل المعركة الطّيّب بالخبيثين، والخبيث بالطّيبين، فكان مع ابن سعد الحرّ الرّياحيّ، وأبو الشّعثاء الكنديّ، وحين جدّ الجدّ، وجاء دور الغربلة والتّصفية عدلا إلى الحسين، واستشهدا بين يديه، وبايع الحسين قوم على الموت، وكاتبوه، ثمّ نكثوا، وعادوا إلى طبيعتهم، وهكذا لم يبق مع ابن سعد إلّا من كان على شاكلته لؤمًا وخساسة يوردهم النّار، وبئس الورد المورود، ولم يبق مع الحسين إلّا صفوة الصّفوة يسير بهم إلى الجنّة حتّى إذا جاؤوها قال لهم خزنتها سلام عليكم فنعم عقبى الدّار. ومن تتبّع سيرة أصحاب الحسين لا يجد لإخلاصهم وعزمهم نظيرا بين الشّهداء، وأتباع الأنبياء، كما لا يجد شبهًا لتضحيات الحسين في التّأريخ كلّه[٢].

المطلب الخامس: قتلة أولاد الأنبياء

قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[٣].

مطفئو السُّنَن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيدو عترة الأوصياء، وملحقو العار بالنسب، ومؤذو المؤمنين، وصراخ أئمّة المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضين، ولبئس ما قدمت لهم أنفسهم وفي العذاب هم خالدون، ويحكم أهؤلاء تعضدون

---

(١) سورة الشورى: ٧.

(٢) ينظر: الحسين وبطلة كربلاء: ١١١.

(٣) سورة النساء: ٩٣.

وعنّا تتخاذلون أجَلْ والله غدرٌ فيكم قديم، وشجت عليه أُصولكم، وتأزرت فروعكم، فكنتم أخبث ثمر شجي للناظر، وأكلة للغاصب. وهذه بالذات صفات الّذين حاربوا الإمام الحسين في كربلاء، فقد وعظهم وحذّرهم، وذكّرهم بكتاب اللّه وآياته، ولكنّهم صمّوا عن النّبأ العظيم[١].

ذهب ابن عبّاس إلى أنّ اليهود والنّصارى هم من قسّموا القرآن أقسامًا بحسب هواهم، فصدّقوا بما هو موافق لهم، وكفروا بالذي كان مخالفًا لهم، فهم الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ، أي: صيّروه أجزاءً وأقسامًا وقالوا عن بعضه: هذا حقٌّ؛ لأنّه موافق لما في التوراة والإنجيل، وقالوا عن بعضه الآخر: هذا باطلٌ؛ لأنّه مخالف لهما، فقسّموه إلى حقّ وباطل كما عن ابن عبّاس، أمّا ما روي عن الصادقين عليهما السلام فإنّهما سُئلا عن هذه الآية فقالا: هم قريش، ففي كتاب عين المعاني أن كفّار قريش كان بعضهم يقول: إنّ سورة البقرة لي، وآخر يقول: سورة النّمل لي والباقي لكم، وهكذا كان كلّ واحد منهم يختار سورة استهزاء وسخرية ويتقسّمون القرآن بهذه الكيفيّة، فسمّاهم اللّه سبحانه المقتسمين ووصفهم بالّذين جعلوا القرآن عضين، أي: قطعًا قطعًا وعضوًا عضوًا[٢].

المطلب السادس: الصبر على عظيم البلاء

وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٣].

قال سيّد الشهداء عليه السلام: «ألا وإنّ الدعي بن الدعي - يعني ابن زياد - قدْ ركز

(١) ينظر: الحسين وبطلة كربلاء: ١١٠.
(٢) ينظر: الجديد في تفسير القرآن المجيد: ٤/ ٢٠٠.
(٣) سورة البقرة: ٢٤٩.

بين اثنتين، بين السلَّة[١] والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحُجور طابت وحجور طهُرت، وأُنوف حميّة، ونفوس أبيّة، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإنّي زاحف بهذه الأسرة على قلّة العدد وخذلان الناصر»[٢].

إشارة إلى ما ذكره القرآن الكريم، أنّ الجماعة الكثيرة للجنود والجيش العظيم إذا كانوا فارغين من الدوافع المعنويّة والاستقامة والصبر فإنّه سينالهم الفشل الذريع في ميدان القتال، بخلاف الفئة القليلة، الّتي تعيش الاستقامة والصبر والثبات فإنّه يمكنها الانتصار على الجيش العظيم في العدّة والعدد[٣]، وهو مصداق لقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِماً أَوْ كَفُوراً﴾[٤].

فالقرآن الكريم يدعو إلى الصبر لحكم الله تعالى الصادر عن الحكمة، وتعليقه الأمور بالمصالح، وتأخيره نصرتك على أعدائك من أهل مكة، ولا تطع منهم أحدًا؛ قلّة صبر منك على أذاهم وضجرا من تأخّر الظفر، وكانوا مع إفراطهم في العداوة والإيذاء له ولمن معه يدعونه إلى أن يرجع عن أمره[٥].

وفي هذا المورد، روي عن الإمام الحسين عليه السلام: «اصبرِ عَلى ما تَكرَهُ فيما يَلزَمُكَ

---

(١) السَّلُّ: انتزاعُ الشَّيءِ وإخراجُه في رِفْق. وسَيْف سَلِيلٌ: مَسْلُول. وسَلَلْت السيفَ وأَسْلَلْته بِمَعْنًى. وأَتيناهم عِنْدَ السَّلَّة أَي عِنْدَ اسْتِلال السيوف، وقيل الإِسْلال الغارَةُ الظَّاهِرَةُ، والأَسَلُّ: اللِّصُّ. أَسَلَّ الرجلُ إِذا سَرَق، والمُسَلِّل والإِسلال الرَّشوة وَالسَّرِقَةُ. والانْسِلالُ: المُضِيُّ وَالْخُرُوجُ مِنْ مَضِيق أَو زِحام. ينظر: لسان العرب: ١١/ ٣٣٨- ٣٤٢.

(٢) ينظر: مقتل الحسين، السيد عبد الرزاق المقرّم: ٢٨٦، ٢٨٧. واللهوف في قتلى الطفوف: ٤٢.

(٣) ينظر: الأخلاق في القرآن: ٢/ ٤١٢.

(٤) سورة الإنسان: ٢٤.

(٥) ينظر: الكشاف: ٤/ ٦٧٤-٦٧٥.

الحَقُّ، وَاصبِر عَمّا تُحِبُّ فيما يَدعوكَ إلَيهِ الهَوى»[١].

ولقد نجح الإمام الحسين عليه السلام في الامتحان في مقام الصبر نجاحًا أبهَرَ أعداءَهُ قبل محبّيه، بل إن صبْرَه ممّا تعجَّبت منه الملائكة، وكما ورد في الزيارة المنسوبة إلى الناحية المقدّسة: «لَقَد عَجَبتْ مِن صَبركَ ملائكَةُ السماء»، وأحَدِ معاني هذا الصبر هو عدم ضعف المجاهد في سبيل اللَّه، إذا ما أثخن بالجراح، وعدم الإدبار في المواجهة، وعدم التزلزل في العزم والصمود، والمحافظة على الإقدام عند مواجهة الحشود الهاجمة، والقرآن يمتدح هؤلاء بقوله: ﴿والصابرينَ في البأساء والضَّرَّاء وحين البأسْ﴾[٢]، وهذا السبق في سوح الجهاد كان - بالدرجة الأولى - نصيبَ علي عليه السلام وآل عليّ، إذ لم نعهد لهم هزيمةً وإدبارًا أبدًا[٣].

وممّا لا شكَّ فيه أنَّ كلّ تجلّيات صبر الحسين عليه السلام إنّما كانت طاعة للَّه وأمره، ولامتثال تكاليفه، فاستقبال الحسين عليه السلام لتلك البليّات والمصائب، ورفضه لكلّ الدعوات التي صدرت من محبّيه ومن أعدائه، للتنازل والاستسلام والبيعة ليزيد، إنّما كانت امتثالًا للأوامر والنواهي الإلهيّة وتطبيقًا لأحكام الشريعة وتجسيدًا للصبر على الطاعة[٤]، ووُلد بكربلاء مبدأ جديد، هو الإيمان بأنّ الموت في سبيل الحقّ خير من الحياة مع المبطلين، وقضى هذا المبدأ على الأمويّين وسلطانهم الجائر، وتغلّبت قوّة الإيمان، فالإنسان يجب أن يعيش حرّا كريمًا، وهذا هو مبدأ الحسين الّذي ضحّى من أجله بنفسه وأهله [٥].

---

(١) نزهة الناظر: ٨٥، حديث رقم (١٨).

(٢) سورة البقرة: ١٧٧.

(٣) ينظر: أشعة من عظمة الإمام الحسين عليه السلام: ١٦٩- ١٧١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٢.

(٥) ينظر: الحسين وبطلة كربلاء: ١٢٧.

الخاتمة

١. تعدّ دراسة خطاب الإمام الحسين عليه السلام من الدراسات المهمّة، لما في خطابه الشريف من المعاني والقيم الكبيرة؛ لارتباطها بكتاب الله العزيز، فهما الثقلان اللذان لا يفترقان.

٢. دأب الإمام الحسين عليه السلام على أن تكون حركته المباركة في طلب الإصلاح مرتبطة بالخطّ الرساليّ المحمّديّ، وعماد هذا الخطّ الشريف هو القرآن الكريم.

٣. ابتدأ الإمام الحسين عليه السلام خطابه بالوعظ والإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة انطلاقًا من التوجيه القرآنيّ في ذلك.

٤. استطاع الإمام الحسين عليه السلام أن يُلقي الحجّة البالغة على أعدائه عن طريق إحاطة خطاباته بالمصاديق القرآنيّة.

٥. حذّر الإمام الحسين عليه السلام من غرور الدنيا الفانية، وأنّ متاعها منقطع لا رجاء فيه مستنيرا بهدي القرآن الكريم.

٦. كشف الإمام الحسين عليه السلام أنّ أعداءه قد استحوذ عليهم الشيطان، فأنساهم ذكر الله، فأصبحوا مصداقًا من مصاديق حزب الشيطان الخاسرين.

٧. ذكّرهم الإمام الحسين عليه السلام بنفسه، وبيَّن علاقته بالقرآن الكريم حين نشره على رأسه الشريف مذكّرهم بحديث الثقلين.

٨. كشف الإمام الحسين عليه السلام صفات جماعة الغدر، وشذّاذ الأحزاب، فهم مصداق للأحزاب التي قاتلت رسول الله صلى الله عليه وآله.

٩. حذّر الإمام الحسين عليه السلام الأمّة ممّن وصفهم بنبذة الكتاب ومحرّفيه وأنّهم عصبة الآثام التي تريد بالأمّة الهلاك بقتلهم أولاد الأنبياء.

١٠. إنّ من أعظم تجلّيات واقعة كربلاء هو عظيم الصبر والتضحية وأصدق مصاديقها هو قوله تعالى: ﴿الصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰدِقِينَ وَالْقَٰنِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران: ١٧.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم: خير ما نبدأ به.

١. الأخلاق في القرآن، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ط٢، ١٤٢٦هـ.

٢. الإرشاد، الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، ط٢، ١٤١٤ - ١٩٩٣م.

٣. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: محمّد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤. أشعّة من عظمة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ لطف الله الصافي الگلپايگاني، تعريب: السيّد جلال الموسويّ، مؤسّسة ثامن الحجج عليه السلام، إيران، ط١، ٢٠١٢م.

٥. أصول التفسير والتأويل، السيّد كمال الحيدريّ، دار الفرقد، ٢٠٠٦.

٦. أصول الكافي، الشيخ الكلينيّ (٣٢٩هـ) تحقيق: علي أكبر الغفاريّ، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ط ٥.

٧. أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

٨. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، دار إحياء التراث العربيّ، لبنان، بيروت.

٩. تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسينيّ، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحقّقين، الناشر دار الهداية.

١٠. تاج اللغة وصحاح العربيّة، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهريّ الفارابي (٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤،

١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١١. تاريخ الطبريّ، محمّد بن جرير الطبريّ (٣١٠هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، بمصر، ط٢، ١٩٦٧م.

١٢. تفسير الإمام الحسين، السيّد محمّد علي الحلو، قسم الشؤون الفكريّة والثقافيّة في العتبة الحسينيّة المقدّسة، ط١.

١٣. تفسير المراغيّ، أحمد بن مصطفى المراغيّ (١٣٧١هـ)، مصطفى البابىّ الحلبيّ وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

١٤. تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزيّ، تحقيق: السيّد هاشم الرسوليّ المحلاتيّ، ط ٤،هـ١٤١٢.

١٥. تهذيب اللغة، محمّد بن أحمد بن الأزهريّ (٣٧٠هـ)، تحقيق: محمّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٦. جامع البيان في تأويل القرآن، محمّد بن جرير الطبريّ (٣١٠هـ)، تحقق: أحمد محمّد شاكر، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

١٧. الجديد في تفسير القرآن المجيد، الشيخ محمّد السبزواريّ النجفيّ، دار التعارف، ١٩٨٢.

١٨. الحسين وبطلة كربلاء، محمّد جواد مغنية (١٤٠٠هـ)، تحقيق: الأستاذ سامي الغرّاويّ، مؤسّسة دار الكتاب الإسلاميّ، ط١، ٢٠٠٥م.

١٩. سنن الدارميّ، عبد الله بن الرحمن الدارميّ (٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الـدارانيّ، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربيّة السعوديّة، ط١، ١٤١٢هـ- ٢٠٠٠ م.

٢٠. شذرات من فلسفة تأريخ الحسين عليه السلام، السيّد محمّد الصدر، تحقيق: الشيخ أسعد الناصريّ، هيأة تراث السيّد الشهيد الصدر، النجف الأشرف.

٢١. عقود المرجان في تفسير القرآن، السيّد نعمة الله الجزائريّ، تحقيق، مؤسّسة

شمس الضحى الثقافية، دار إحياء الكتب الإسلاميّة، قم المقدّسة.

٢٢. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ (١٧٠هـ) تحقيق: د مهدي المخزوميّ، د إبراهيم السامرائيّ، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت.

٢٣. الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنّة، الشيخ محمّد الصادقيّ، الناشر: الأميرة للطباعة والنشر.

٢٤. فقه الأخلاق، السيّد محمّد الصدر، تحقيق: كاظم عبادي الناصريّ، هيأة تراث السيّد الشهيد الصدر، النجف الأشرف.

٢٥. القاموس الفقهيّ، الدكتور سعدي أبو حبيب، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨ م.

٢٦. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمّد بن يعقوب الفيروز آباديّ (٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسّسة الرسالة، بإشراف: محمّد نعيم العرقسُوسي، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٧. الكامل في التاريخ، علي بن محمّد بن محمّد ابن الأثير الجزري عز الدين أبو الحسن، بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٩م.

٢٨. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٣- ١٤٠٧هـ.

٢٩. لسان العرب، محمّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاريّ الإفريقيّ (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣ - ١٤١٤هـ.

٣٠. اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن طاووس (٦٦٤هـ)، أنوار الهدى، قم المقدّسة، ط ١، ١٤١٧هـ.

٣١. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١،

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٣٢. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيميّ الرازيّ الملقب بفخر الدين الرازيّ خطيب الريّ (٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٣ - ١٤٢٠ هـ.

٣٣. مقتل الحسين عليه السلام، السيّد عبد الرزاق المقرّم، منشورات الشريف الرضيّ.

٣٤. مقتل الحسين عليه السلام، الموفّق الخوارزميّ (٥٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ محمّد السماويّ، أنوار الهدى.

٣٥. من هدى القرآن، سماحة آية الله العظمى الحاج السيّد محمّد تقيّ المدرّسيّ، دار القارئ، بيروت، ط٢، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٣٦. من وحي القرآن، السيّد محمّد حسين فضل الله، دار الملاك، ط٢، ١٩٩٨م.

٣٧. موسوعة الفقه الإسلاميّ المقارن، السيّد محمود الهاشميّ الشاهروديّ، الناشر مؤسّسة دائرة معارف الفقه الإسلاميّ، ٢٠١١م.

٣٨. موسوعة الكلمة، الشهيد السيّد حسن الحسينيّ الشيرازيّ، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ط١.

٣٩. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، المؤلف: معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام، منظمة الإعلام الإسلاميّ.

٤٠. نزهة الناظر، الحلوانيّ، تحقيق: مدرسة الإمام المهديّ عليه السلام، مدرسة الإمام المهديّ عليه السلام، قم المقدّسة، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤١. نور ملكوت القرآن، السيّد محمّد حسين الطهرانيّ، الناشر دار المحجّة البيضاء.